معرض عفاف صادر في «غاليري صادر»

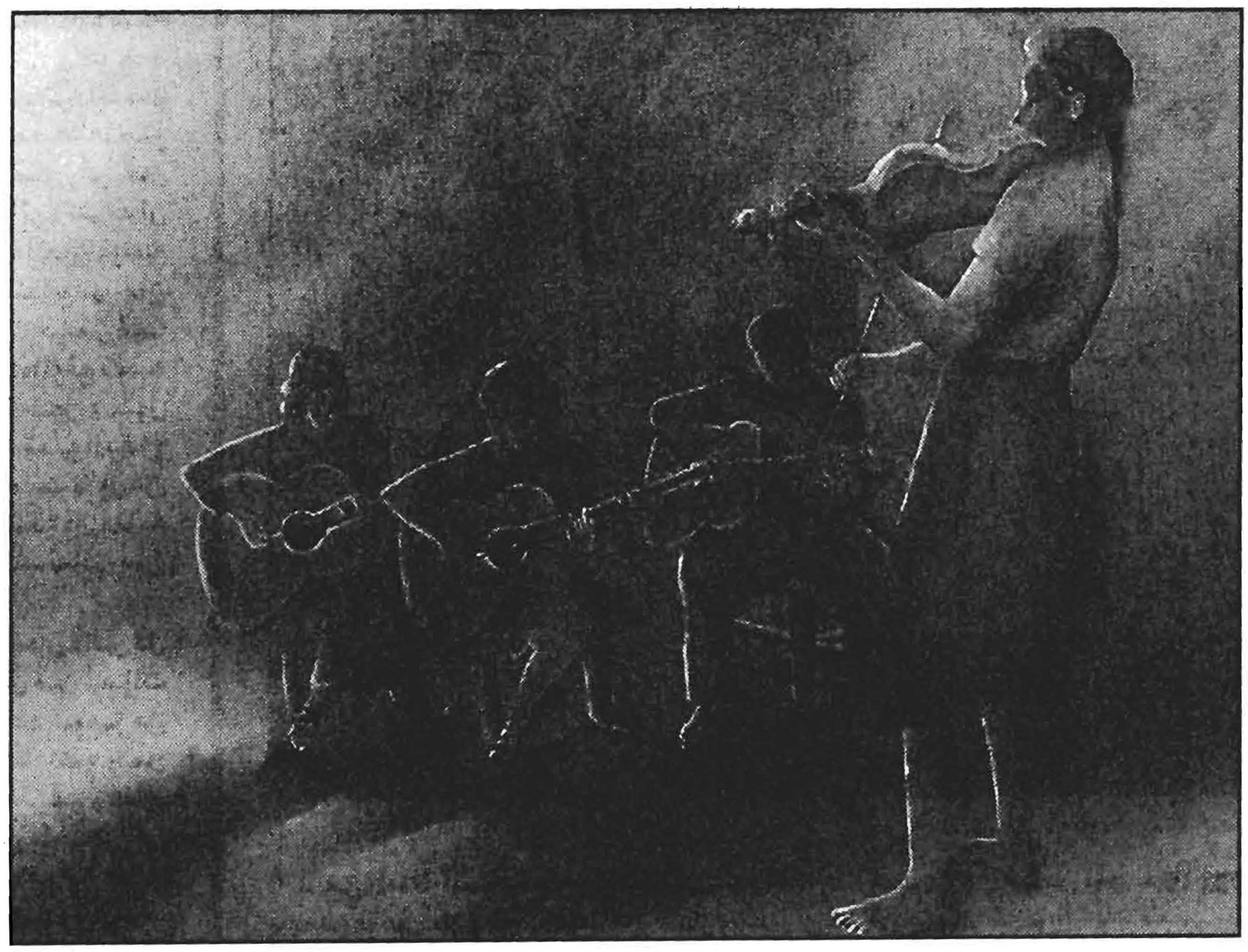

فـــن الحقيقة

كـأن المشـاهد التي تقدمـهـا الفنانة عفاف صادر في مـعرضـها الجـديد، لا تعـيش في الزمـن الحـاضـر ابدا. فـهي إمـا تأتي من الذاكرة التي ترتحل حتى الطفولة، وإما تذهب الى الحلم الميتافيزيقي المغرق في الآمال البيضاء.

المشاهد التي تختلف بين الناس وأبنية الحلم والذاكرة، تتحرك في مساحة مغشاة بأحجبة لا تجعلك ترى التفاصيل او الحقائق على وجه الدقة والتمام، وإن كنت ترى الأشكال فتفهم طبيعتها وعنوانها. فهذا طفل وهذا عجوز وتلك امرأة وذلك قصر او طلل بيت... او سوى ذلك مما لا يزيح عن وقائع بعينها او صور منطقية مفهومة في عموميتها.

اربعون لوحة هي حصيلة المعرض الفردي الثاني للفنانة صادر، التي، منذ معرضها الاول، اختارت ان تتفرد في اسلوبها، فتقدم معالجة مختلفة للوحة الواقعية التمثيلية، لوحة تكاد تكون أمينة في مرجعيتها للواقع، من دون ان تخضع لمنطق الدقة الفوتوغرافية.

ضبابية لونية

اللوحة تبدو في شكلها العام «نيغاتيف» الصورة الفوتوغرافية، فهي تحدد المعالم والنسب الطبيعية للأجسام، والتوازنات الطبيعية للمشاهد، بأسلوب يعتمد الضبابية اللونية الى حد بعيد، حتى لكأننا نرى ناس اللوحة وأبنيتها من وراء أغشية لونية على قدر من الشفافية، او من خلف ملاءات لونية تتماهى مع الحلم أكثر مما تحتكم للواقع.

هذه الملاءات هي فواصل الزمن، او المدى الذي ينقلنا من الحاضر الى الماضي او خيالات المستقبل، على ان واقع اللوحة هو مجرد وقفة او حدث او لمحة عين، بل هو مجرد لقطة تشبه الى حد بعيد اللقطة الفوتوغرافية، التي تصف لحظة ما، او تختصر حركة، او تشير الى عمر محدد او ناس محددين او أمكنة بعينها. فالفنانة لا تهز الواقع من اجل ان يسود جو التعبير وينتشر على امتداد مساحة اللوحة، بل هي تبذل جهدا في مركزة اللوحة، بحيث تصبح الألوان والاطراف والتفاصيل... كلها في خدمة الموضوع المركزي المحدد. فلا تفلت او تتحرر من هذه المركزية او تحدث اي خلل في النظام العام للوحة.

اللوحة، إذاً، على درجة عالية من الانضباط. بعض اللوحات نلاحظ فيها مساحات حرة متوترة، والباقي كله مشغول بهدوء تام وبالتزام لا مساومة فيه على تقديم لوحة على جانب عال من الأناقة، التي تجعلها صالونية بامتياز.

اطمئنان

هذا هو الموقع الذي تضع عفاف صادر نفسها فيه، ولا تكسره لتأخذ لوحتها، مثلا، الى مناخ تجريبية، ثم لا تغادره في اتجاه تنويع التقنية بين لوحة واخرى، وان كانت الألوان منفتحة على تنويع لا حدود له، في ما يتوسط الاحمر والاسود والازرق والاصفر...

كثيرا ما تشتغل الفنانة في «طبخ» ألوانها والبحث عن درجات لونية دقيقة، تناسب التأليف وتدخل في تقديم اللون على انه عنصر يتماهى مع واقعية الموضوع حينا، او على انه عنصر انطباعي في اكثر الاحيان.

الالوان تتناسج بطريقة هادئة وفوق مساحة هادئة، فلا تنقطع او تظهر اي حدود لها. فالانتقال من لون الى آخر مجاور له هو انتقال هادئ، ينقاد الى الإتقان المهني والأناقة اكثر منه الى التوتر والحس المباشر.

معرض يعيد طرح الأسئلة حول هذه الدرجة من الاستقرار والاطمئنان في اللوحة.

أحمد بزّون

* يستمر المعرض لغاية ٨ كانون الاول المقبل في غاليري صادر، سد البوشرية، سنتر فياض.